الشيخ رضا

اسم الكتاب: **الشيخ رضا**

اسم المؤلف: **أيمن سلامة**

تدقيق لغوي: **بسمة محمد**

تصميم الغلاف: **محمد عبد الرحمن**

إخراج داخلي: **ساندي شريف إبراهيم**

رقم الإيداع: **٢٠٢١/٢٢٦٠**

الترقيم الدولي : **٩٧٨٩٧٧٨٤٤١٠٤١**

**جميع الحقوق محفوظة للناشر©**

أى اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمسائلة القانونية والآراء والمادة الواردة.
وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

E-mail: ebharpuplishing@gmail.com

تليفون: ٠١٠٦٠٢٦٧٤٠١

أيمن سلامة

# الشيخ رضا

# الشيخ رضا

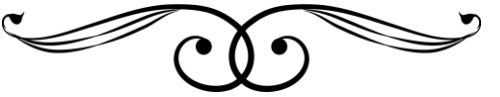

منذ أيام قليلة سمعت إعلانًا من إحدى عربات التوك توك التى تملأ الشوارع فى مدينتنا الصغيرة، وكان الإعلان عن وفاة الشيخ رضا، وأخذت أنظر إلى التوك توك حتى غاب عن عيني، وأنا أستمع للإعلان، وأتيقن من مكان العزاء.

ذهبت إلى سرادق العزاء المتواضع بعد صلاة العشاء، وجلست بجوار أحد المعارف القدامى، وبينما كنت أرتشف فنجان القهوة، وأستمع إلى صوت المقرئ المنبعث من جهاز تسجيل قديم، سألني من يجلس بجوارى: "إنت كنت تعرفه ياهندسة؟؟" فقلت له نعم كان زميلي فى الجامعة، فتعجب الرجل وسألني ثانية: "معقول الشيخ رضا كان طالب فى الجامعة ؟؟"

لم أرد على سؤاله، فقد ذهبت بعيدًا، وأنا أسترجع ذكرياته معى التي بدأت فى أحد أيام الدراسة فى السنة الأخيرة أثناء عودتي من الكلية، حيث ركبت أحد الأتوبيسات العامة التي تربط بين مدينتي الصغيرة والجامعة فى عاصمة المحافظة التي نعيش فيها، ولما كنت متعبًا جدًا، جلست عندما سنحت لي الفرصة، وبينما كنت أطالع فى دفتري إحدى المحاضرات، سمعت المحصل يقول لأحدهم "انزل يا أستاذ لازم تدفع ثمن التذكرة" ونظرت إلى الشخص المعني بحديث المحصل ووجدته شابًا أكبر مني سنًا، وملبسه مهندم، ومظهره مرتب بعناية، ويربط الكرافت التي لم تكن منتشرة كثيرًا بيننا فى ذلك الوقت، ولكنه كان صامتًا تمامًا رغم ارتفاع صوت المحصل، وهو يوجه إليه الكلام، وسأله أحدهم "إنت رايح فين يا أستاذ؟؟" فرد المحصل "ده رايح آخر الخط، وهو كل يوم بيركب معايا، وكل مرة مش بيدفع" فقال أحد الركاب "هو شكله في الجامعة، بس حالته صعبة شوية، خلاص لو طلع المفتش أنا هادفع لك ثمن التذكرة" فرد عليه المحصل "يا سيدي ده المفتشين كلهم عارفينه، بقولك كل يوم يركب معانا يروح عند الجامعة، ويرجع تاني معانا من غير ما ينزل من الأتوبيس، ومش بيدفع

خالص على طول كده" وهنا سألتُ المحصل "هو اسمه إيه؟؟" فرد علي "اسمه رضا" وأضاف راكب آخر معلقًا على المشهد "لا حول ولا قوة إلا بالله، هم أهله ساكتين عليه ليه؟!".

انتظرت حتى هدأت التعليقات، وسألته "أنت ساكن فين يا رضا؟؟" فلم ينظر لي ولم يرد على سؤالي، وظل ينظر كما هو إلى الفضاء غير عابئ بما حوله، فسألته مرة أخرى "طيب إنت فى الجامعة صحيح ..طيب فى أي كلية؟" فنظر إليّ مطولًا هذه المرة، لكنه لم يجب، وانتظرت حتى أصبح المقعد بجواري شاغرًا فدعوته للجلوس، وبالفعل جلس بجانبي صامتًا كعادته، وتأملت مظهره عن قرب، فقد كان وسيمًا أنيقًا بالفعل، يصلح للعمل بالمجال الفني، ولكنه شارد الذهن، زائغ النظرات، وسرعان ما اقتربنا من نهاية الخط، وحين هممت بالنزول، اقترب مني، وقال بصوت خافت كمن يُدلي بسرٍ خطير "حقوق.. كلية الحقوق" ثم مضى فى سبيله، وتعجبت من حاله، إنه يتكلم مثلنا، فلِمَ لـمْ يُجب المُحصل والركاب، وتركهم يُسمعوه كل ما سَمِع من استهزاءٍ به!

فى مساء ذلك اليوم التقيت بمجموعة من الأصدقاء بالجامعة، وسألتهم عن رضا، فأجاب أحدهم، وكان فى كلية الحقوق "الكلية عندنا كلها تعرف رضا، فهو يحضر معنا أحيانًا، ولكنه لا يتكلم مع أحد" وأقسم صديق آخر أنه يحضر معهم فى كلية التجارة، ولكنه يرسُب فى الكلية من سنين، وهنا أدركت ما به، إنها حالةُ رفضٍ للدراسة في مجال لا يريده، فلا أحد يدري فيي أي كلية هو بالتحديد، وسألتُ نفسي، ومن منا لم يمر بحالة رضا؟؟ فكل منا كان له حلمه الخاص الذى غالبًا ما ضل طريقه مع ظروف الحياة وتصريف القدر، ربما القليل منا فقط ذهب إلى الطريق الذى يريده، ولكن ذلك لا يعني أن نستسلم حتى تضيع سنواتُ عمرنا هباءً كما يفعل رضا.

مضت سنوات طويلة ذهبت بنا الحياةُ خلالها إلى طرق متفرقة، كل واحد ونصيبه كما يقولون، وبعد سنواتٍ عدة من العمل بالخارج رجعت فى إجازة عمل، وأثناء خروجى من أحد المحلات بوسط المدينة، وجدته أمامي.. رضا، ولكنه تحول إلى الشيخ رضا، وقد ظهرت آثارُ السنين على وجهه، وتغير هندامه الأنيق إلى ثياب المجاذيب، كما نشاهدها في الأفلام، وتحول من الصمت إلى الصياح

والكلام غير المفهوم طوال الوقت، ويقف في منتصف الطريق غير عابئٍ بأحدٍ ممن حوله، قابضًا على عصا في يده مرفوع عليها علم ملون يلوح به فى الهواء.

تأملته للحظات مندهشًا من تغير حاله ثم اقتربت منه، وقلت له "ازيك يا رضا، فاكرنى؟؟" فتوقف عن صياحه، ونظر إليّ صامتًا للحظات خرج خلالها من عالمه الخاص الصاخب، ثم قال ليي بنفس الصوت الخافت الذي سمعته من سنوات عدة مضت "مش قلت لك حقوق.. كلية الحقوق".

# قبل الأوان

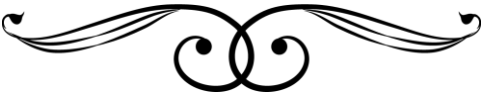

تَتساقط قطراتُ العرق إثر لهيب الشمس الحارة، وقد حفرت لنفسها طريقًا عبر تجاعيد وجه العجوز، الذي انحنى ظهره تحت ثِقل حمل صُندوقٍ ثقيل من سعف النخيل مليء بالقش والأكواب الزجاجية، وقد تشبثت يداه بالصندوق حتى لا ينفلت من على ظهره، ويجرُ قدميه الهزيلتين بصعوبةٍ وبطء، أثناء قيامه بعمله لتوصيل الصندوق من المخزن القابع داخل حواري الحي إلى المحل الذى يتوسط الشارع الرئيسي في رحلةٍ تتكررُ عدة مراتٍ يوميًا من خلال مسار واحد لا يتغير.

كانت للعجوز استراحة واحدة محددة اختارها لنفسه، عندما يضع حِمله على رصيف مرتفع أمام محل البقالة الوحيد بالشارع، ويجلس بجواره لدقائق يتصبب عرقًا، ولا يكاد يقدر على أن يرفع رأسه المنحنية بحكم ثقل السنين، وتقدم العمر، مُلوحًا بمنديل قديم تغير لونه الأصلي

منذ زمن بعيد، لعَلّه يجلبُ بعض الهواء الرطب إلى وجهه المتعب، وبعد أن يشرب بعض الماء البارد من القُلل المرصوصة أمام المحل، يستعين العجوز ببعض المارة من شباب الحي ليرفعوا الحمل على ظهره المنحني لِيكمل طريقه المعتاد إلى المحل الرئيسي الذى يملكه تاجرٌ يُعرف بالبخل وغِلظة الطِباع.

اعتاد سكان الشارع على رحلة العجوز اليومية، وحاول الكثيرون مساعدته، ولكنه دائمًا ما كان يرفضُ المساعدة، وبعد إلحاح مني لمساعدته قبل العجوز أن أشتري له عبوة كيس من البن، ليشرب القهوة التي تعود عليها كلَّ مساء في حجرته المتواضعة الكائنة بالدور الأرضي بأحد البيوت القديمة بالحي.

ذهبتُ إليه في المساء حاملًا الهدية التي حددها بنفسه، فدعاني لفنجان من القهوة في غرفته القديمة المتواضعة للغاية، فدخلت مُحرجًا، وجلست أراقبه وهو يصنع القهوة، وقد جهز لها مسبقًا ما يلزمها من أدوات، وهو لا ينقطع عن التسبيح ممسكًا بمسبحة طويلة في يده، وتتمايل رأسه المنحنية مع كلمات التسبيح، وبعد أن نضجت القهوة

أخذ يصبُها في االفناجين القديمة بيدٍ مرتعشة، وشربنا القهوة صامتين، ثم استأذنت للانصراف.

عندما قمت من مجلسي استعدادًا للانصراف، طلب منى العجوز الانتظار، وبادرني قائلًا "شايف يا ابني في عينيك كلام.. اتكلم" فقلت له مازحًا ومحرجًا منه "من يوم ما وعيت على الدنيا ..طول عمرى أشوفك عجوز.. إيه حكايتك يا جدو؟ هو أنت اتولدت عجوز؟" فصمت العجوز بعض الوقت والتقط أنفاسه بصعوبة.. ولمحت الدموع تترقرق متجمدة في عينيه وقال "يا ابنى... العجز مش في الجسم بس.. ده إحساس بيتولد معانا، وبيعيش جوانا والسعيد منا اللي يعرفه في ميعاده.. والحزين اللي يعرفه قبل الأوان".

# نصیب

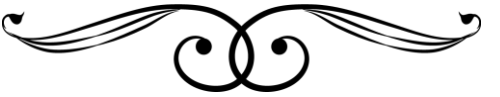

ذات مساء خرجتُ أجُوب شوارع مدينتنا القديمة، التي تحمل بين جنباتها عبق ذكرياتي القديمة مع أصدقاء الطفولة والزمن الجميل الذى عشته معهم، ولا يجول بخاطرى مكان محدد أذهب إليه، إلى أن توقفت قدماي فجأة بعد أن سمعت صوتًا مرتفعًا يذكر اسمي، فتوجهت إلى مصدر الصوت فوجدت أحد الأصدقاء القدامي يجلس على مقعد خشبي كبير أمام إحدى المحلات الكائنة على ناصية شارعهم القديم المتقاطع مع أحد الشوارع الرئيسية بالمدينة.

جلستُ بجواره، وبعد تبادل السلامات والعتاب المعتادين في مثل هذه المناسبات، أخذنا نتجاذب أطراف الحديث، وكالعادة لا نتفق على شيء مشترك بيننا سوى الضحك على نكاته التي يُطلقها بين طيات حديثه، وتأملتُ للحظات أثر السنين على وجهه، وتعجبتُ فلم أجد لها

أثرًا يذكر، فقلت له مازحًا "أنت كما أنت.. لم يتغير فيك شيء فقط زادت شراهتك للسجائر" فأجابني ضاحكًا "أنا لا أحمل بداخلي همًا للدنيا، فيكفيني ما نالني منها، هل تظن أنه سيحدث لي أكثر مما أنا فيه؟" ..فقلت له "معك حق لقد أخذت نصيبك الوافر من الألم، فيكفيك ذلك لتأمن من القادم" فضحك كعادته، وقد لمعت دمعة محرجة بعينيه، وقال لي "شوف.. كل واحد هياخد رزقه المقسوم من الدنيا، وهو ونصيبه" ثم ضحك برغم ألمه البَينِ على وجهه.. قائلًا "سمعت النكتة دي".

مرت اللحظاتُ سريعة، ولم أدرِ ساعتها متى بدأ اللقاء ومتى انتهى، ولكنه انتهى على أيةِ حال، كما ينتهي كل شيء فى دنيانا. وقبل أن أغادر صديقي مودعًا، حَرِصتُ على مساعدته في العودة إلى منزله، فقد كان مُقعدًا منذ سنوات طوال إثر حادث أليم، ولا يُغادر مَسكَنه إلا نادرًا، وفي محاولةٍ لتخفيف الحرج عنه لمساعدتي له في العودة لمنزله بكرسيه المتحرك سألته، وأنا أتصنع الضحك "متى سأراك ثانية لأهزمك في الشطرنج؟؟" فابتسم بحزن على غير عادته، وقال "إنت فاكر خروجي

كده شيء سهل علي؟؟" وصمت وهو يغالب دموعه "عمومًا.. اللقاء نصيب".

مرت الأيام سريعة كأنما تريد أن تلحق بموعد ما، وعدت مرة أخرى للخروج كعادتي كلما أردت أن أعيش مع ذكرياتي باحثًا فى الوجوه عن أصدقائي القدامى الذين قد فرقتهم دروب الحياة، وسعى كل منهم ليأخذ نصيبه المقسوم منها، وبينما أنا أسير بنفس الشوارع، من بعيد تنامى إلى سمعي صوت مقرئ للقرآن الكريم، وشاهدت من بعيد توافد صفوف المعزين، وتملكني شعور داخلي بالحزن لسبب لا أدري ما هو، وازداد هذا الإحساس حين اقتربت من مكان العزاء، لقد كان هو نفس مكان لقائي مع صديقي، لقد كنت أجلس هنا معه منذ بضعة أيام. اقتربت منهم فرأيت بعض الوجوه التي أعرفها، وقد كساها الحزن، ورأيت إخوةَ صديقي وقد وقفوا متراصين في صفٍ طويل في استقبال المعزين، فتقدمت وصافحتهم، وقد أذهلتني المفاجأة المحزنة، فلم أنطق بشيء، وجلست صامتًا.

مرت لحظات العزاء ثقيلةً مقبضة، وكنت أسمع خلالها بعض المعزين يذكرون اسم صديقي، ويدعون له بالرحمة، وجلس إخوة صديقى بجواري صامتين، ثم قال أحدهم.. "أخي -رحمة الله عليه- كان دائمًا يذكرك بالخير" حاولت أن أتكلم وأنا أغالبُ دمعة متحجرة فى عيني ولكني لم أستطع، فقال آخر "أرجوك.. سامحنا، الموضوع كان مفاجأة لنا كلنا، وما قدرناش نذيع فى البلد، إنت عارف الظروف اللي البلد فيها، لكن.. إنت عرفت ازاي؟"..غالبت دموعي المتحجرة، وقلت له، وأنا أغادر العزاء... "نصيب".

# أحلام قديمة

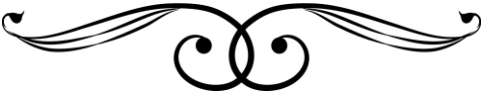

بينما تمضي الأيام مسرعةً متشابهة الأحداث، ذات مساء بينما كان مكتب المحامي يَعُجّ بمن فيه من الحضور بمختلف مشاكلهم، حضرت إحدى السيدات وتقدمت إلى السكرتير بطلب مقابلة الأستاذ المحامي لأمرٍ هام، وبدون موعد مسبق، ورفضت أن تُخبر السكرتير سوى باسمها المجرد فقط.. مدام أحلام، وارتسمت الدهشةُ والاستغراب على وجه المحامي بعد أن أخطره السكرتير بشأن تلك السيدة، وحاول جاهدًا أن يتذكرها، وفي النهاية أيقن أن اسمها لا يعني له شيئًا، لذا أجاب سكرتيره أن يؤخر تلك السيدة حتى ينتهي من عمله.

انتظرت السيدة عدة ساعات ثقيلة تبعث على القلق، حتى جلست أمام مكتب المحامي، الذي بادرها مُرحبًا بها ومعتذرًا عن ساعات الانتظار لانشغاله في العمل، ومتأملًا لمعالم هيئتها لعلّه يتذكر سابق معرفته بها،

حتى ذكّرته بِنفسها، فهي جارته في الحي سابقًا، قبل أن يُغادر المحامي مقر أسرته، لينتقل بعد زواجه إلى حي آخر قريب من مقر عمله.

وبعد دقائق من الصمت والمجاملات المعتادة، بدأت السيدة في الحديث، باقتضاب عن مشكلتها، وقد تباينت الانفعالات على وجهها الذي ما زال يحمل مسحةً من جمال قديم، برغم أنها على مشارف نهاية العقد الخامس من عمرها، وسرعان ما أطلقت العنان للسانها ليحكي مكنون صدرها لسنوات، فهى ابنة لإحدى الأُسر متوسطة الحال، وقد تَوَفَّى وَالِدُها وهي ما زالت طِفْلة صغيرة، وبرغم صعوبات الحياة ومسئولياتها، استطاعت أمُها بمفردها أن تمضي قُدمًا بالأسرة، حتى وصلت الابنة إلى نهاية التعليم الجامعي، وتوافد عليها الخطاب تباعًا، وانتهى بها الأمر بالموافقة على أحد الشباب ذوي القرابة من أُسرتها، ونظرًا لظروف أُسرتها، فقد كان الشاب كريمًا معها، وتحمل كل تكاليف الزواج، وبعد السنة الأولى من زواجها رزقت بالطفل الأول لها، وسافر الزوج لتأمين متطلبات الحياة لأسرته، وأخذته الغُربة لسنوات طويلة، طالت مع زيادة تكاليف متطلبات المعيشة للأسرة، وبرغم تضحيات الزوج لم يجد شيئًا مما تمناه مع زوجته، فقد كان

بالنسبة لها مجرد طوق نجاة خفف عن كاهل أسرتها تكاليف الزواج، ومع مرور الأيام زادت الفجوة بينهما، خاصة بعد عودة الزوج من غربته، واستقراره مع أسرته، حتى وصل إلى ما يُسمى بالطلاق الصامت بين الطرفين.

توفي الزوج مقهورًا على غير المتوقع بعد فترة مرض قصيرة، وبعد تجاوز الأزمة المفاجئة، عزمت الزوجة على المضي قُدمًا بأسرتها كما فعلت أمُها من قبل، وظلت تُطفئ في داخلها أية رغبة في الارتباط من جديد بأي رجل آخر، وبدأت تتنسم نسمات الحرية من ارتباط بارد، لم تبذل يومًا جهدًا لتدفئته، وتحاول جاهدةً أن تكسب الصراع النفسي بينها وبين ضميرها اللائم لها لتقصيرها مع زوجها، وتصر على أنها كانت مجرد ضحية لظروف أسرتها المادية فى ذلك الوقت.

حتى رأته ذات مساء، فى مصادفةٍ لم تكن متوقعة، ولكنها أيقنت بداخلها ذلك الشعور الدفين الذي عاش سنين عمرها بداخلها دون أن يخرج إلى العلن، وظلت لأيام طوال.. تفكر هل تصارحه بما تشعر به، أم تستمر في

كتم الأمر عنه، فهو لسنوات طويلة لم يُعرها أي اهتمام بأمرها، وأخذت تسأل عنه في حذر حتى عرفت كل ما تستطيع معرفته عنه.

تعجب المحامي من أمرها، وسألها مباشرة قائلًا.. "سيدتي لا أرى مشكلة قانونية في كل ما قلته، فما دوري أنا في الموضوع؟" فأجابته "أردت أن أستشيرك، هل أهل زوجي يستطيعون أن يأخذوا مني الأولاد لو ارتبطت بهذا الشخص؟" أجابها المحامي مباشرة "بالطبع، في هذه الحالة يستطيعون ذلك لو أرادوا" ثم أردف متابعًا حديثه إليها "هل تسمحين لي أن أسألك، هل يستحق هذا الرجل هذه التضحية؟" فأجابته بصوت خافت، وهي تنظر بعيدًا عن وجهه "نعم، لا شك لديّ في ذلك" فعاد المحامي يسألها مباشرة "وما جدوى مصارحة هذا الرجل الآن بمشاعرك الدفينة تجاهه؟ ربما لن يهتم بما تقولينه له، وهذا الأمر قد يؤذي مشاعرك، أليس من الأفضل ألا نُشعل المشاعر الدفينة! فربما تحترقين بنيرانها بدلًا من دفء وصالها؟" فردت السيدة، وقد علت حمرةُ الخجل وجهها، وأشاحت بناظريها عن وجهه "صحيح كلامك، ولكنها مُجرد أحلام قديمة، أردت أن أُحققها، حتى ولو للحظات فقط".

وليضع نهاية لهذا اللقاء مع السيدة، قال المحامي "إذن لننتظر حتى تصارحيه وتحددي موقفك معه" فأجابت السيدة بعد تردد وتلعثم واضح، وقد تغيرت نبرات صوتها، لقد صارحته الآن، ونظرت إليه، وقد أودَعت نظرتها كل مشاعرها، فنظر إليها المحامي، وقد أدرك أنه المعني بكلامها، وأربكته المفاجأة، وساد بينهما الصمت للحظات، قبل أن تنهض السيدة مغادرة مكتب المحامي.

# المجذوب

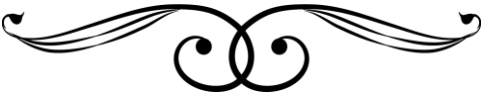

دق جرس المدرسة الإعدادية الوحيدة بالبلدة، مُعلنًا انتهاء اليوم الدراسي، وتسابقت سيقان الصغار مغادرة المدرسة، وهي تنطلق عائدة إلى شوارع وحواري المدينة الصغيرة، وغادر أيضًا المعلمون على مهل، كل يقصد طريقه إلى مسكنه، فيما عدا الأستاذ محمود، معلم اللغة العربية، فقد شعر ببعض الإعياء وألم شديد في صدره، فتحامل على زميل له، ساعده في الذهاب إلى المستشفى العام، وهناك عرض حالته على أحد الأطباء في الاستقبال الذي طمأنه على حاله واصفًا له بعض الأدوية، وعاد صاحبنا إلى مسكنه. وبعد أن تناول العلاج أمضى ليلته وحيدًا ومتألمًا من المرض العارض الذى ألـمَّ به، وعبثًا حاول أن يجد للنوم طريقًا وبعد ليلة مؤرقة، ذهب إلى المدرسة متعبًا، وقضى

يومه بصعوبة، وقد نصحه زملائه بطلب إجازة مرضية، والعودة إلى مسكنه والراحة والانتظار لعدة ليال أخرى، ربما تبدأ حالته في التحسن.

مضت الليالي مؤرقة كسابقتها، وازداد معها تعبه، وغادره النوم بدون عودة، وشحب لون وجهه، ووهنت قدرته على تحمل المزيد، فاصطحبه أحد أصدقائه إلى طبيب واسع الصيت بهذا التخصص، وبعد ساعات الانتظار البطيئة المؤلمة، فحصه الطبيب المشهور، وصارحه أن الأمر خطير، وعليه أن ينتظم في العلاج لمدة شهر، وإنْ لم تتحسن حالته، سيكون من اللازم إجراء تدخل جراحي خطير، ومادت الأرض من تحت أقدام صاحبنا، فلم ينطق بشيء، وانصرف محطمًا مستندًا إلى ذراع صاحبه، الذي حاول أن يخفف عنه الألم بالكلمات المعتادة في مثل هذه المواقف.

عاد صاحبنا إلى مسكنه، وبعد فترة صمت أفاق بعدها من وقع الصدمة، وقال لنفسه، لله الأمر من قبل ومن بعد ..فماذا أصنع الآن؟ ظل السؤال يتردد داخله في حيرة، وبعد أن تناول الدواء، حاول أن يبحث عن الراحة، فلم يجدها، وظلت تجوب الأفكار برأسه، فهو يعيش بمفرده، ويتجهز

لاستقبال قدوم الفرحة مع العروس التي انتظرها طويلًا، فماذا سيصنع الآن؟؟ هل يُخفى الأمر عن صهره، ويمضي في إجراءات العُرس، فلم يبقَ على العُرس سوى شهر تقريبًا، ولم لا يفعل ذلك، ربما تتحسن حالته كما قال الطبيب، أم يصارح صهره، بما صار ويطلب التأجيل؟؟

ظل صاحبنا قلقًا من ردة فعل صهره، تُرى هل سيرضى صهره بالتأجيل؟ أم سيرفض استكمال العرس، خاصة وأن العملية الجراحية خطيرة كما قال الطبيب، فكيف سيرضى صهره لابنته الارتباط بعريس يبدأ حياته معها بتلك العملية الجراحية الخطيرة؟؟

قام صاحبنا بأداء صلاة الاستخارة للخروج من حيرته، وانتهى إلى ضرورة مصارحة صهره مهما كان رأيه، وعزم على لقاء صهره بعد صلاة العشاء في المسجد الذى اعتاد صهره الصلاة فيه، وبالفعل ذهب إلى المسجد مبكرًا بعد صلاة المغرب مباشرة، وجلس ينتظر صلاة العشاء، كما ينتظر حضور صهره.

كان المسجد شبه خالي من رواده، فجلس في أحد زوايا المسجد مستندًا برأسه إلى الحائط، وقد أتعبه المرض والأرق، فغابت من التعب عيناه

للحظات فى نوم عميق، أفاق من غفوته مضطربًا، بعد أن هزت كَـتِفَه يد شيخ بهيئة المجاذيب المعتادة، وتطلع صاحبنا إليه مستغربًا، وهو يسأل نفسه.. لماذا أقبلَ المجذوب يوقظه هو فقط؟ بينما يوجد بجواره من هو نائم يفترش سجاد المسجد بالفعل؟ وقطع تفكيره الصامت صوت المجذوبِ... وهو يقول له "يا أستاذ.. لسه بدري على صلاة العشاء، وصهرك.. مش هيجي دلوقت.. والدكتور بتاعك غلطان، قوم روح لدكتور تاني غيره.

# ديون قديمة

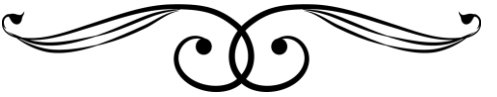

ذات صباح توجهت إلى إحدى ماكينات الصرف لصرف مبلغ من المال لأمر عاجل، ولكننى فوجئت بالزحام الشديد أمام ماكينات الصرافة، وتنبهت متأخرًا إلى أن تاريخ اليوم هو البداية المعتادة لصرف الرواتب والمعاشات الشهرية، وعادة ما يتزاحم الموظفون وأصحاب المعاشات بشدة أمام الماكينات لصرف رواتبهم فى هذا التوقيت، وانتظرت لبعض الوقت، عسى أن يخف الزحام، لكنه على العكس تزايد، وحين هممتُ بالانصراف لفت انتباهى وجه متعب لسيدة عجوز تجلس على الرصيف المجاور للماكينات، وأشفقت عليها، كيف ستقوى على زحام الطابور حتى تصل إلى الماكينة؟! ويبدو أنها عرفت ما بداخلي فأشارت لي بذراع واهن لكي أساعدها، وتساندت على ذراعى، وهي تتمتم ببعض الأدعية حتى توجهت إلى طابور السيدات الممتد خلف إحدى

الماكينات، فتركتها وانصرف، وهي ما زالت تتمتم ببعض الأدعية بصوت خافت، وتركت الأمر كله مؤقتًا إلى المساء حتى تخف حركة التزاحم، وفي المساء توجهت ثانية إلى الماكينة، ولكنى وجدت التزاحم أكثر مما كان في الصباح، وبذلك أضطررت للانتظار إلى اليوم التالى.

وبالفعل صباح اليوم التالي كان الأمر أقل زحام من الأمس، واستطعت سحب المبلغ المطلوب، وحين هممتُ بالانصراف، وجدت نفس السيدة العجوز تنتظر وتجلس بنفس هيئتها بالأمس، و نظرت إلي كأنها تنتظرني، فساعدتها على الوقوف فى الطابور، ثم انتظرت معها حتى وصلنا إلى الماكينة، وكانت طوال الوقت لا تكف عن الدعاء بصوت خافت، وأخيرًا سحبت لها المعاش من الماكينة، ففرحت وتهلل وجهها، برغم أنه كان مبلغًا زهيدًا جدًا، لا أظنه يكفي أن تعيش به سيدة مثلها طوال الشهر.

ساعدتها فى المشي حتى تصل إلى وجهتها، فقد طلبت مني التوجه إلى صيدلية قريبة، وهي لا تكف عن الدعاء لي لمساعدتها، وفي الصيدلية أخرجت من بين طيات ملابسها روشتة طبية قديمة مهترئة، وناولتها

للصيدلي، قرأها الصيدلي بصعوبة وأحضر الأدوية المطلوبة، وعند دفع ثمن الأدوية، لاحظت أنه يعادل أكثر من نصف المعاش الزهيد، فعرضت مساعدتها، لكنها رفضت، وهي تحمد الله، وتؤكد أن المعاش يكفيها وزيادة، ودفعت العجوز بيد مرتعشة إلى الصيدلي بكل نقود المعاش التي سحبتُها لها منذ قليل، فقد كان نظرها ضعيفًا، لا تستطيع تمييز النقود بسهولة، فأشرت الى الصيدلي بالصمت، وأعطيته الفيزة الخاصة بي ليسحب منها قيمة الدواء، وأعاد الصيدلي نقود المعاش كاملة مرة ثانية إلى العجوز قائلًا لها "خذي الباقي يا حاجة" فأودعت الباقي دونما تدقيق منها في طيات ملابسها ثانيةً.

خرجت العجوز من الصيدلية مستندةً لذراعي، وبخطوات بطيئة ساعدتها حتى وصلت لمسكنها القابع بالدور الأرضي بإحدى البيوت القديمة القريبة، وهممت بالانصراف، ولكنها استحلفتني لكي أنتظر وأشرب معها الشاي، فهي لا تجد من تتحدث معه وتعيش بمفردها، وأخذت بضعف واضح تُشعل الموقد القديم بالغرفة، وتتحسس الأشياء باحثةً عن مكان الشاي والسكر، وأنقذ الموقف حضور إحدى

بنات الجيران، ويبدو أن تلك الصغيرة كانت تداوم على رعاية العجوز فسرعان ما أعدت لنا الشاي وانصرفت.

أثناء تناول الشاي تجاذبت أطراف الحديث مع العجوز، وسألتها.. ألايوجد من تعيشين معه ويرعاك؟ أليس لك أبناء؟ فقالت، وهي تنظر بضعفٍ في فراغ الغرفة المتواضعة "ربك لا ينسى أحد، فكما ترى أبناء وبنات الجيران يخدمونني، وعندي ولد واحد يعيش بعيدًا عني" فقلت لها مستنكرًا "كيف يعيش بعيدًا عنك، ويتركك بمفردك هكذا؟" فقالت بأسى "أنا لا أستطيع أن أغضب عليه، فأنا أخاف عليه من غضب الله، وأعرف أن ما أنا فيه هو تسديد لدين قديم" ثم أردفت بصوت واهن "لقد دفعتُ زوجي لأن يترك أمه تعيش بمفردها بعدما تزوجنا بفترة قصيرة، يا ولدي لقد عشت طويلًا لأدرك أننا جميعًا يومًا ما سنرحل، ولكن بعد أن نسدد ما علينا من ديون قديمة".

# سافوریا

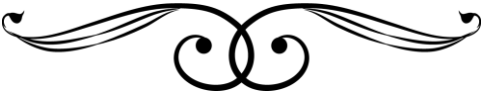

"هو ده يا أفندم" كانت تلك العبارة التي قالها صاحبُ محل الذهب المسروق كافية لكي تغير مجرى حياة أحد المتهمين في القضية، ويبدأُ بعدها في قضاء مدة من الزمن داخل السجن، زادت المدة بعد زيادة المشاكل التي تعرض لها داخل السجن جراء اعترافاته أثناء التحقيق، والتي اعتبرها شركاؤه في الجريمة بمثابة الخيانة لهم، ونظرًا لنحافته وقصر قامته، فقد تعرض لأنواع عدة من محاولات الاعتداء والانتقام، ولكنه تصدى لكل تلك المحاولات برغم صغر جسمه، مما جعل زملاء السجن يطلقون عليه اسم سافوريا.

نسي سافوريا اسمه الحقيقي، فلم يكن يسمعه إلا نادرًا، في المناسبات الرسمية فقط، أو في جلسته مع زملائه المقربين من قدامى المساجين أمثاله، أما المساجين الجدد فقد كانوا يخشونه، ويتناقلون الحكايات

التي تصفه بأنه من عتاة المجرمين، والحقيقة أنه بعد ارتكابه لجريمته الأولى والأخيرة فى بداية شبابه لم يرتكب أى شيء بعد ذلك.

كان من الممكن أن يخرج سافوريا ليعيش حياته العادية، لكن تورطه في العديد من المشاكل للدفاع عن نفسه داخل السجن، ضاعف مدة سجنه عدة مرات لم يعد يذكرها، وانسلت سنوات عمره تباعًا، وقد اعتاد على الحياة داخل السجن، وانقطعت عنه أخبار أسرته بالخارج، ونسيه جميع أهله، كما نسي هو الجميع.

عاش سافوريا حياته داخل حياة من حوله، يستقبل الجدد من السجناء، ويحميهم في بعض الأحيان من سيطرة القدامى، ويودع من انتهت مدتهم، ويحل مشاكل البعض منهم، بالتفاهم أحيانًا، والقهر أحيانًا أخرى، كان سافوريا يعتقد أن ما يقوم به مع السجناء الجدد حتى يتجنبوا المصير الذي صار إليه، ولا تضيع سنوات أعمارهم في صراعات لا طائل من ورائها، هو رسالته في الحياة .

يعرفه الجميع سواء المسجونين أو السجانين، وعرفهم جميعًا، فهم كل عالمه الذي يعرفه، وذات صباح تجمع المساجين في ساحة السجن وبدأ

الشاويش في الإعلان عن أسماء المفرج عنهم من المسجونين للبدأ فى إجراءات الإفراج عنهم، وتعالت صيحاتُ الفرح تليها أحضان التهنئة بعد قراءته لكل اسم، ولا يغادر أحدهم المكان إلى عنبر الإفراج إلا بعد أن يصافح ويودع سافوريا، واستمر الشاويش في ندائه، حتى وصل الى اسم.. سيد عبدالتواب البحر، فلم يرد أحد، وأعاد الشاويش النداء مرات عدة، فلم يجبه أحد، وصمت الجميع لفترة، حتى علا صوت أحد قدامى المساجين قائلًا "ده اسم سافوريا يا شاويش" فتعجب الشاويش قائلًا "مش بترد ليه يا سافوريا...إنت نسيت اسمك؟ إنت مش نفسك تخرج من السجن؟".

لم ينطق سافوريا بكلمة، وظل صامتًا من الصدمة التي جاءت مباغتة، ورفض أن ينتقل إلى عنبر الإفراج، وظل على حالته واجمًا يفكر.. فهو لم يكن مستعدًا لهذا اليوم من قبل، ولا يدري إلى أين سيذهب، ولمن سيلجأ في الخارج، فلم يكن له إخوة، كما أنه لم يتزوج ليكون له أسرة وأبناء، لقد عاش حياته كلها تقريبًا داخل السجن، وصار عالـم السجن هو عالمـه الوحيد الذي يعرفه.

تصاعد الموقف، واستدعاه مأمور السجن، وتفهم المأمور تَخَوَّف سافوريا من المجتمع خارج السجن، وطمأنه ووعده بالمساعدة لإيجاد فرصة عمل خارج السجن لدى معارفه، لكن سافوريا أصرَّ على أنه إذا خرج من السجن سيموت، وطلب من المأمور أن يتركه فى السجن ليموت وسط أصدقائه، فهم كل ما لديه فى الحياة، وما جدوى خروجه الآن بعد أن تقدمت به سنوات العمر، ولم يعد لديه الكثير من الوقت ليبدأ حياة جديدة وحيدًا فى عالم لم يتعود عليه، وتعجب المأمور من طلبه، ولكنه وافق على طلب سافوريا أن يمضي ليلته الأخيرة مع زملاء العنبر القدامى.

احتفل الجميع بخروج سافوريا على طريقتهم الخاصة، ولكن سافوريا أمضى ليلته الأخيرة واجمًا، لا يغمض له جفن حتى كان الصباح، وانتهت إجراءات الإفراج، وتجمع المفرَج عنهم فى ساحة الخروج فى انتظار النطق بأسمائهم ليجتاز كل منهم باب الخروج إلى الحرية، وأخذ الشاويش يقرأ الأسماء تباعًا، ومع كل اسم، يخرج أحدُهم تودعه صيحاتُ التهنئة، وتستقبله صيحاتُ الفرح، وأحضان الشوق من الأهل والأحباب، حتى وصل إلى اسم سيد عبد التواب البحر، فلم يرد أحد،

وأعاد الشاويش النداء، فلم يرد..فقال الشاويش "تانى ياسافوريا" وتساءل الشاويش متعجبًا "هو فين الجدع ده؟" .. والتفت الجميع يبحثون عن سافوريا، فوجدوه جالسًا على الأرض، مستندًا برأسه على الحائط، فهزه أحد زملائه قائلًا "يا سافوريا... رد على نداء الشاويش، عشان تخرج؟؟" لكن سافوريا لم يرد على نداء الشاويش... فقد رد على نداء السماء.

# مجرد.. جسد..

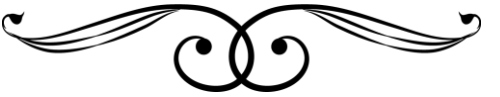

بينما كنت أعبر الطريق متجهًا إلى منطقة السوق في مدينتنا الصغيرة، استوقفنى أحد الأصدقاء القدامى القليلين الذين ما زالوا يعيشون فى مدينتنا، ولم يرتحل منها كحال معظم زملاء الزمن الجميل، وقد أصرَّ صديقي على أن يصحبني إلى المقهى القديم الذي نرتاده، لنمضي معًا بعض الوقت، ويستشيرنى في بعض الأمور الفنية الهندسية الخاصة بمنزله.

تركني صديقى بعدما وصلنا إلى المقهى ليلقي التحية على بعض بلدياته القادمين من قريته لبعض شئونهم بالمدينة، فجلست إلى أقرب منضدة خالية، أنتظر عودة صديقي التي طالت بعض الشيء، وأثناء ذلك وقع نظري على رجل غريب الهيئة، يبدو في العقد السادس من عمره يجلس وحيدًا رث الثياب وشعره متطاير، وقد كساه البياض ولحيته غير مرتبة،

الأمر برمته قد يبدو عاديًا للبعض، ولكن ما استرعى انتباهي هو أنه يدخن السجائر بشراهة عجيبة، ولا يكاد يصبر أن تنتهي السيجارة التي في يده حتى يسرع في إشعال أخرى، وهكذا حتى قاربت علبة السجائر التي أمامه على المنضدة على نهايتها، أخذتُ أتأمل المشهد، فالرجل لا يتكلم ولا يلتفت لأحد، بل ينظر إلى الأرض ويتمتم ببعض الكلمات غير المفهومة، ويسابق الزمن في سرعة الانتهاء من علبة السجائر، تركت مقعدي وجلست إلى منضدة أخرى أقرب بجواره؛ لأرى الرجل عن قرب، وقطع تأملي للمشهد صديقي الذي حضرت معه إلى المقهى، وقد علا صوته يناديني، ولكني أشرت له لكي يأتى إلى المكان الذي انتقلت إليه، وعندما رأى الرجل الذي أنظر إليه، نظر إليّ قائلًا بصوت منخفض "إنت مش عارف الرجل ده مين؟" فقلت "لأ.. مين ده؟" فقال لي "ده فلان إللي كان زميلنا في المدرسة الثانوية .. مش فاكره؟" وأخذت أعتصر ذاكرتي الضعيفة لأتذكره دون جدوى، فقلت له "الحقيقة.. شكله مش غريب علي.. لكن إيه حكايته؟" فقال صاحبي "الله يكون في عونه".

بعد فترة صمت قصيرة، قلت لصاحبي تعال نسلم عليه، واقتربنا منه... "أهلا فلان.. أخبارك إيه؟ فاكرنا؟؟" وتعجبتُ منه فقد تذكرنا فورًا، بل أكثر من ذلك، فقد ذكر اسمينا كاملين، وإن كان كلامه متقطع وصوته خافت وعيناه ما زالتا تنظران إلى الأرض، وكأنه يبحث عن شيء ما، ولم أتنبه إلى محاولات صديقي، وهو ينبهني إلى ضرورة إنهاء اللقاء، وألا أُطيل معه في الحديث، وسألته مرة أخرى "إنت بتشتغل فين دلوقت وأخبار الدنيا معاك إيه؟؟" وهنا تغير وجه الرجل وأخذ ينظر إليّ بحده، وقال موجهًا كلامه لى "إنت مين؟" أجبته مندهشًا من تغير حاله "أنا فلان..أنا لسه حالًا بتكلم معاك وقلت لي اسمى بالكامل" ولكنه استمر يكرر السؤال بشكل عصبي، ولا ينتظر إجابة، بل تملكته رعشة في يده، وقد بدأ صوته يعلو، وإن كان ما زال متقطعًا وتجمد في مكانه، ولا يتوقف عن تكرار السؤال، والنظر إلى الأرض.

جذبني صديقي من ذراعي بسرعة من أمامه، وذهبنا نجلس بعيدًا عنه، وهو ما زال على حاله، والغريب أن جميع من حوله لم يلتفتوا إليه، وكأن الجميع اعتادوا منه على هذا التصرف، وعلِمتُ بعد ذلك أن حياته توقفت عند حدٍ معين إثر حادثة مروعة أودت بحياة أسرَته كلها، وتركته

وحيدًا، وصارت حالته تنحدر سريعًا حتى وصلت إلى الحالة التي رأيته عليها، فهو يرفض أن يستمر في الحياة بعدما ذهبوا وتركوه وحيدًا كما يرفض أن يسأله أحدٌ عن حياته الآن.

المسكين لم يعد يرى الحياة بعدما فقد حياته معهم، لقد توقفت حياته لحظة أن تركوه ورحلوا، لقد تركوه بلا عقل وبلا روح، فقط مجرد جسد غير عابئ بالحياة.

يعيش.. يعيش.. يعيش

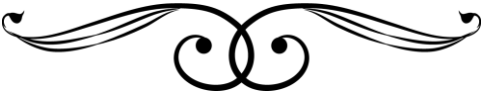

دارت أحداث هذه القصة منذ سنوات طويلة أيام الزمن الجميل، وبدأت بالكلمات التالية "كل واحد هنختاره معانا هياخد طقم ملابس رياضية كامل، بشرط يعمل إللي هنقول عليه" كانت تلك كلمات المسئول الرياضي بالساحة الشعبية في مدينتنا الصغيرة، وكانت تلك الكلمات كافية حتى يحلم كل منا باختياره ضمن المحظوظين الذين سيقابلون الزوار القادمين من القاهرة؛ لحضور المبارة الهامة التي ستُقام ضمن فعاليات مهرجان رياضي بالساحة الشعبية بين فريق مدينتنا المُهمشة الصغيرة والفريق القاهري الكبير.

بالطبع تسابقنا أنا وأصدقائى لكي نحظى باختيار المسئول الرياضي، والحقيقه كان الأمر برمته حدثًا نادر الحدوث في مدينتنا، وكنت من

ضمن المحظوظين حيث لم تكن هناك أي شروط للاختيار سوى المظهر العام وفراسة هذا المسئول الرياضي.

وتسلمنا بالفعل أطقم الملابس الرياضية الجديدة، وبعدها مباشرة بدأت البروفات على إجراءات الاستقبال التي سنقوم بها عند حضور الضيوف، ومن ضمن تلك الاجراءات، اختار المسئول أحدنا، وكان طويل القامة وجهوري الصوت ليعلو صوته بعبارة (يعيش ...فلان...بيه) ويذكر بالطبع اسم المسئول الكبير الذي سيحضر من الوزارة لحضور هذا المهرجان الرياضي، وكان دورنا أن نُكرر خلفه بحماس وصوت مرتفع كلمة "يعيش" ثلاث مرات، ونصطف على جانبيي المدخل عند حضور الضيوف بالزي الرياضي الذي تسلمناه، ولم أهتم كثيرًا بتلك التفاصيل، فقد كنت فرحًا كغيري من الأصدقاء بطاقم الملابس الرياضية الجديد المتواضع جدًا قياسًا بما هو موجود حاليًا.

طالت ساعات التدريب على إجراءات الاستقبال، والانتظار لحضور الضيوف تحت أشعة الشمس الحارة، وتشجيعًا لنا، وزع المسئولون

وجبات غذائية متواضعة علينا تشجيعًا لنا على استكمال اليوم الرياضي بنشاط، وجلسنا في مجموعات نتناول تلك الوجبات، وهربًا من أشعة الشمس الحارة تسللتُ مع أحد الأصدقاء لنتناول الوجبات بداخل صالة الألعاب الوحيدة بالساحة والتي لم يكن دخولها عادة متاحًا للجميع، وفي أثناء ذلك اكتشفنا وجود أدوات رياضية جديدة، فأخذنا نلعب بتلك الأدوات، وطال بنا الوقت حتى نسينا موضوع الاستقبال، ولم ننتبه لمضي الوقت سريعًا ونحن مستغرقان في اللعب.

خرجنا بعد فترة لنكتشف أن الاستقبال قد انتهى والمباراة قد بدأت، وقابلنا أحد أفراد المجموعة التي كنا معها، فقال اهربوا بسرعة؛ لأن المسئول الرياضي يبحث عن المتخلفين أمثالكم ليعاقبهم، ويسترد منهم أطقم الملابس، فأسرعنا نختبئ مرة أخرى فى صالة الألعاب حتى يهدأ الأمر، وقضينا ما تبقى من وقت المباراة في اللعب داخل الصالة على أمل أن نهرب في الزحام بالملابس بعد انتهاء المباراة، وبعد فترة شعرنا بحركة وأصوات مرتفعة خارج الصالة، فخرجنا نستطلع الأمر، فشاهدنا المسئول الكبير يوشك على الانصراف ويلتف الجميع من حوله، ولحظنا العاثر اكتشف وجودَنا المسئول الرياضى وأسرع يتجه

نحونا، وخوفًا من عقابه خطرت لي فكرة، فقلت لصاحبى "إنت فاكر الهتاف اللى قالوا لنا عليه؟" فقال "أيوه فاكره" فقلت له "قوله بسرعة بسرعة بصوت عالى" وبالفعل بدأ صاحبي يرفع صوته مردداً ذلك الهتاف المتفق عليه، وأخذت أكرر أنا خلفه عبارة "يعيش.. يعيش" حتى وصلت أصواتُنا إلى مسامع المسئول الكبير الذي توقف عن استكمال مساره إلى السيارة الفخمة التي كانت في انتظاره، والتفت إلينا ملوحًا بيده مبتسمًا ومحييًا، كأنه الفاتح المنتصر، وما زلت حتى الآن أتذكر هيئته، ولا أتذكر اسمه، بل أكثر من ذلك.. فقد ظل واقفاً مبتسمًا يوزع التحية والابتسامة على الجميع لعدة دقائق قبل أن يستكمل مساره إلى السيارة، وانتظرت حتى نجحت الفكرة، وانخرط الجميع يرددون الهتاف بحماس خلف صاحبي بما فيهم المسئول الرياضي نفسه، الذي التفت هو أيضًا إلى المسئول الكبير مردداً الهتاف، وتجاهل أمرنا للحظات كانت كافية لنتسلل، ونغادر الساحة مسرعين خلال الزحام الذي تضخم فجأة حول المسئول الكبير.

ما زلت أتذكر وجه المسئول الرياضي، وهو ينظر لنا مبتسمًا من بعيد بعدما أدرك حيلتنا البريئة للهروب منه، وربما شعر ببعض الامتنان لنا بعد أن أضفنا شيئًا ما لإجراءات الوداع للضيف الكبير.

# البحث عن أحلام

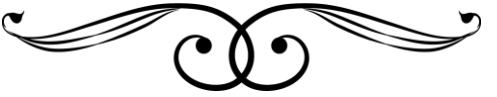

في أثناء سعينا خلف أحلامنا تجرف الأقدار كلاً منا تبعًا لقدره، وما هو مقسوم له، وقد يضل بنا الطريق بعيدًا عن طريق أحلامنا الوردية، ويحاول بعضنا العودة للطريق ومقاومة الأحداث، والبعض الآخر يستسلم لما هو قائم ويترك نفسه للأيام تجرفه كيف شاءت يمنة ويسرة.

كانت تلك الكلمات تدور في ذهن كمال، الموظف بالبريد والمولع بالفن والمسرح ويحرص على حضور المسرحيات الجديدة، ويحفظ أدوار كبار النجوم، وأحداث المسرحيات عن ظهر قلب، ولكن حياته تتوقف حينما تظهر هي، الفنانة أحلام، على المسرح فتأخذ لباب عقله، وتأسر قلبه، فلا يملك من أمره شيئًا ويظل محدقًا بها، ويضج ويعلو صوته هاتفًا بإعجابه بها، ولكن في صمت، فلا يسمع أحد ما هذا الضجيج، ويظل على حالته تلك حتى تختفي رويدًا عن المسرح، ثم

تعود في النهاية لتلقي التحية على جمهورها من الحاضرين، ويبقى فى انتظار طلتها الأخيرة تلك صامتًا، لا يكاد يقوى على القيام للتصفيق لها كبقية المعجبين، يظل أسيرًا مشدوهًا لرؤيتها حتى تتوارى من جديد خلف ستائر المسرح، حينها فقط تحمله قدماه، وتأخذه مسلوب الإرادة؛ ليقف أمام باب خروج الممثلين في البرد القارس منتظرًا خروجها؛ ليراها مرة أخرى، وهي تدلف سريعًا إلى سيارتها التي تحملها مغادرةً على عجل، غير عابئة بنظرات المعجبين المتهافتين على التقاط الصور أو التعبير بكلمات الإعجاب.

أما هو فكان يعود إلى الحياة تدريجيًا بعدما تغادر مبتعدةً في سيارتها، ويظل لبعض الوقت يودعها بضجيجه الصامت، ونظراته المسلوبة الإرادة حتى تختفي في الزحام البعيد، وتحمله قدماه في الشوارع شبه الخالية في ليالي الشتاء الباردة، وتعود به شيئًا فشيئًا إلى عالم الأحياء الذي غادره منذ سويعات، ويلقي بجسده المتعب على أقرب مقعد في مقهى ناصية حارتهم الضيقة الواقعة في أحد أحياء القاهرة القديمة، وسرعان ما تتلقفه كلمات صديقه القديم الشيخ علي؛ لتعيده تلك الكلمات اللاذعة إلى عالمه الحقيقي، وتغلق أمامه بوابة عالمه السحري

الذي غاص فيه لساعات، ولم يكن يملك أمام كلمات صديقه سوى الهروب والتوجه إلى مسكنه، فلم يكن يملك الإرادة ولا الرغبة في الخروج من عالمه السحري الذي يحمله للعيش بالقرب من.. معشوقته أحلام.

وبعد أن يلقي بنفسه على سريره، يغط في نوم عميق، يكمل فيه أحداث عالمه الجميل حتى يفيق على صوت أمه العجوز، وهي توقظه مبكرًا ليلحق بعمله، فيسرع بتبديل ثيابه وينطلق مسرعًا ليلقي بجسده وسط الزحام في طريقه إلى مقر عمله، وما زالت دعوات أمه التي ترسلها خلفه كل صباح ترن بصوتها الواهن في أذنيه، ويستغرق لساعات طوال في متاهات ملفات الأرشيف الذي يقبع فيه منذ سنوات حتى ينقضي نهار يومه، ويغادر عائدًا إلى مسكنه، فتحمله قدماه في جولة لإلقاء نظرة على أبواب المسرح؛ لعله يلمح بعضهم، وهم يتحضرون لتجهيزات العرض المسائي كل ليلة، وينطلق بعدها عائدًا إلى مسكنه ليستريح لساعات يتجاذب خلالها مع أمه العجوز بضع كلمات جافة رتيبة، وهو لا يجد ردًا مناسبًا على مطلبها الوحيد المتكرر برغبتها في زواجه واستقراره،

فماذا يصنع، وقد ملكت عليه أحلام كل حياته، وصارت هي أحلامه التى يتمناها؟!

ذات مساء حينما كان في طريقه إلى المسرح لمحها في سيارتها الفارهة تقطع الشارع المزدحم في بطء، أتاح له الفرصة للمرة الأولى لتلتقي عيناه بعينيها مباشرة، وللحظات توقفت دنياه، وتجمدت قدماه، وشعر بروحه تغادره، وتصحبها حتى تصل إلى المسرح، ثم تعود لتدفعه ليكمل طريقه حتى يجلس بين الصفوف مبكرًا فى انتظار رؤيتها، ومضت ساعات العرض المسرحي، وهو على حالته المعتادة، ثم خرج مسئول المسرح ليعلن عن مفاجأة سعيدة للجمهور في نهاية أيام العرض المسرحي، وكانت المفاجأة هي تهنئة الفنانين لزميلتهم الفنانة أحلام بمناسبة إعلان زواجها المفاجئ من فنان يشاركها العمل بالمسرحية، وضج المسرح بالتصفيق الحار من الجمهور، وأحضر أحدهم تورتة كبيرة، وعلق آخرون تهنئة مكتوبة تحمل أسماء العروسين، ووسط هذا الفرح المفاجىء، كانت هناك مذيعة تلفزيونية تهنيء العروسين بنهاية أيام العرض المسرحي بنجاح، وبمناسبة الزواج السعيد وأجرت مقابلة حصرية مع العروس التي بدت سعيدة، وكشفت للجمهور أن اسم

شهرتها الفنية أحلام، ولكنه ليس هو اسمها الحقيقى،، وغادر كمال الحدث السعيد قبل نهايته عائدًا إلى مسكنه تاركًا خلفه للمرة الأولى أحلامه باحثًا عن أحلام أخرى.

# الدكتورة

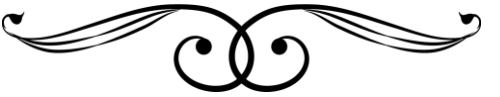

كان الأب مريضًا طريح الفراش إثر وعكة صحية ألمت به، وبرغم تعبه إلا أنه كان مشاكسًا بطبعه، لم يتقبل تعليمات الطبيب بسهولة، وكثيرًا ما كان هذا سببًا في مشاكله مع زوجته التي لا تملك في نهاية الأمر إلا استدعاء ابنته الصغرى، طالبة الطب المحببة إلى قلبه، فهي بمثابة طبيبه الخاص الذي لا يستطيع أن يخالف تعليماته، كما يحب أن يناديها دائمًا بلقب الدكتورة، وهي سرعان ما تملي عليه التعليمات، وهو يطيعها متبرمًا منها في ظاهره، ولكنه سعيد بداخله، ويعلم أنه لن يستطيع مقاومتها كما يفعل مع أمها، ويستمتع وهو يفتعل معها المشاكل ملقيًا اللوم على الأم دائمًا، التي تدرك ما يفعله فتنهض مبتعدة عنهما، وهي تبتسم.

مضت الأيام، وكانت صحة الأب تتحسن ببطء، بالكاد استطاع مغادرة غرفته، وما زال بالطبع تحت رعاية ومتابعة ابنته الدكتورة، التي ما كادت تخرج بسيارتها متجهة إلى الجامعة صباحًا حتى عادت مضطربة، ولاحظت الأم عودتها السريعة واضطرابها، وبعدما هدأت من اضطرابها، أوضحت الدكتورة السبب لأمها، فقد تهشمت مقدمة سيارتها الجديدة إثر اصطدامها بالسور الخارجي المقام حديثًا بإحدى البنايات القريبة، ولما كانت حديثة العهد بالقيادة، فلم تدري ماذا تفعل، وكيف تصلح الضرر الواقع بالسيارة، والأهم من ذلك كيف تبلغ والدها المريض بما حدث!! فطمأنتها الأم، ووعدتها أنها ستبلغ أباها بما حدث بطريقتها الخاصة، عندما توقظه بعد قليل لتناول الإفطار وطعام الإفطار.

تركت الدكتورة الأمر لأمها، وانصرفت لغرفتها للراحة من الاضطراب الذي ألم بها إثر الحادث المفاجئ، واستيقظت بعد الظهر لتسأل أمها عما فعلت، فقالت الأم "قلت لأبوكِ أنى أخدت عربيتك، وأنتِ نايمة ورحت بها السوبر ماركت واتخبطت مني غصب عني، وقال لي حمدًا لله على سلامتك ولا يهمك سيبي لي الموضوع ده، وما تقوليش للدكتورة حاجة، وأنا هاتصرف".

الدكتورة: "شكرًا يا ماما ياحبيبتى.. بس بابا مش قالك هيعمل إيه؟"

الام : "لا يا بنتى.. هو قال لي ما اتكلمش معاكِ في حاجة.. وهو هيتصرف"

الدكتورة : "خلاص يا ماما.. هاروح أطمن عليه، وأشوف هيعمل إيه"

كان الأب مستيقظًا يقرأ الجريدة بصعوبة، وتهلل وجهه حينما رأى ابنته قائلًا: "أهلًا يا دكتورة... كنت عايزك في موضوع كده"

الدكتورة: "خير يا بابا ياحبيبي"

الأب: "أنا صحيت النهاردة بدري لقيتك نايمة، والدواء بتاعي خلص، قلت أنزل اشتري الدواء بنفسي، زهقت من القعدة، افتكرت إن عربيتي مع أخوك، فأخدت عربيتك وروحت بيها، وأنا راجع اتخبطت مني... ما تزعليش مني يا دكتورة.. هاصلحها لك..".

# اجري يا بابا

تولد مصادفة بدون ترتيب مسبق تلك اللحظات العفوية البريئة التي تجمعنا بأولادنا حاملة معها ذكريات طريفة تعيش في داخلنا طوال عمرنا، ومن تلك اللحظات حينما أصرت ابنتي العفريتة الصغيرة أن أشاركها اللعب ونقوم بعمل تشكيل عصابي يثير الفوضى والمرح في البيت، وبالطبع هذا في غياب الحكومة الخاصة بنا، وهي أم الأولاد والتي لديها مشكلة من تلك الفوضى التي نحدثها، وتصرخ فينا عندما تكتشف آثار تلك الجريمة التي قمنا بها، وبالطبع في هذه اللحظات يهرب الجميع من مواجهتها فيما عداي حيث أتصنع الشجاعة، وأستنكر الحدث، وأنقلب على شركاء الجريمة في محاولة لامتصاص غضب الحكومة، التي غالبًا لا تنطلي عليها تلك الخدعة خاصة لو تم الإمساك بأحد أفراد العصابة الصغار، الذي غالبًا ما يُقر بالجريمة ويعترف فورًا، ويكشف عن الشركاء مع أول (شبشب).

ومن تلك اللحظات الجميلة، أذكر أننا كنا نقوم بالسطو على غرفة ابنتى الكبرى للبحث عن الشيكولاتة والشيبسي بعدما رفضت منحهم للعفريتة الصغيرة لخلاف كبير نشب بينهما منذ الصباح، وأخذنا نخطط لتنفيذ عملية السطو، وانتظزنا حتى ذهبت ابنتى الكبرى إلى الجامعة، والحكومة مشغولة في المطبخ، فتسللنا إلى الغرفة، وأخذنا نبحث في الغرفة عن مكان الشيكولاتة والشيبسي، وبينما كنا منهمكين في البحث، إذ قامت الحكومة بعملية مداهمة مفاجئة لموقع الحدث، وفوجئت العفريتة الصغيرة بذلك، وبعد أن نجحت في المراوغة والهروب من يد الحكومة، صرخت قائلة "كبسة... اجرى يا بابا" وبدون تفكير وجدت نفسي أجري معها للهرب من الحكومة التي لم يجدِ معها نفعًا هذه المرة أية أعذار، فقد ضبطتنا متلبسين بالجرم، فاضطررنا إلى الامتثال للعقاب الذي نص على قيام ابنتى العفريتة الصغيرة بإعادة ترتيب الغرفة والصالة، أما أنا فكان عقابي هو غسيل المواعين، ولكنى رفضت بشدة تنفيذ القرار... إلا بعد تسخين المياه.

# الفهرس


| | |
|---|---|
| الشيخ رضا | ١ |
| قبل الأوان | ٧ |
| نصيب | ١١ |
| أحلام قديمة | ١٧ |
| المجذوب | ٢٣ |
| ديون قديمة | ٢٩ |
| سافوريا | ٣٥ |
| مجرد جسد | ٤١ |
| يعيش.. يعيش.. يعيش | ٤٧ |
| البحث عن أحلام | ٥٣ |
| الدكتورة | ٥٩ |
| اجرى يا بابا | ٦٣ |